خطبة الفساد والمفسدين

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

" اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسْدٍ، يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْلتببِيَّةِ عَلَى صَدَقَةٍ، فَلَمَّا قَدِمَ، قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ،

ثُمَّ قَالَ: " مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبْعَثُهُ فَيَأْتِي، يَقُولُ: هَذَا لَكَ وَهَذَا لِي، فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرُ أَيُهْدَى لَهُ أَمْ لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْتِي بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ثَلَاثًا " البخارى.

نعم عباد الله هكذا أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يطّهرَ المجتمعَ المسلم من بذور الفساد ويوصدَ الأبواب عن المفسدين ،

ذلك أن شريعتنا نهت عن الفساد في الأرض أو تيسير سبله والإعانةِ عليه أو التحايلِ لحصوله ، فإن من أعان المفسدين او رضي بأفعالهم أو تستّر عليهم فهو شريكٌ لهم في الإثم، وقد نهى الله تعالى عن ذلك فقال ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: 2] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ المُسْرِفِينَ \* الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾

كما كانت تلك هي رسالة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، فهذا نبّي الله شعيب عليه السلام يخاطب قومه : ﴿ وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [هود: 85]، ونبي الله موسى يخاطب أخاه هارون عليهما السلام قائلاً له: ﴿ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: 142]، [يونس: 81].

معاشر المؤمنين

لم تدع الشريعةُ الإسلامية تحديدَ الفساد وتعريفَه مرهونا بأهواء البشر ، بل عرّفت الفساد وحددت أقسامه وجرّمت بواعثه وأغلقت أبوابه ، وحددت ماهو محرّمٌ من المعاملات تحديدا دقيقا زخرت فيه مراجعُ الفقهِ الإسلامي

ومرجع ذلك أن الله تعالى هو العليم الخبير ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ [الْبَقَرَةِ: 220]، وقال تعالى ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: 63]،فإنَّ تركَ تحديدِ المفسدِ من المصلح للبشر سيجعلُ أحكامَهم كما قال جلّ وعلا

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ \* أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ) [البقرة: 11، 12].

وتتعددُ صورُ الفساد، وتتّنوع مداخلُه وأبوابه ، فهناك فسادٌ في الاعتقاد وفساد في الفكر وفساد في القيم، وفساد في موازيين الولاء والبراء وفساد في الذمم،

 وفساد اقتصادي واخر إعلامي وهناك فساد سياسي كمن يحعل التطبيع مع الصهاينة نصرا وفتحا للمسلمين وواقعية وتقدم ، بئس ماقالوا وشاهت تلك الوجوه وفسدت تلك القلوب المريضة والله جلّ وعلا يقول " فترى الذين في قلوبهم مرضٌ يسارعون فيهم "

كلّ ذلك حذر منه الإسلام، قال تعالى-: (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) [الشعراء:183].

الفساد -عباد الله - هو استغلال الوظائف العامة للمصالح الخاصة، وهو تضييع الحقوق وتفويت المصالح العامة ومصالح الأمة لمصالح شخصية ، والفساد هو عدم الوفاء بالأمانة واستشراء الخيانة وإستحلالُ الرشوة وفساد الذمم ، هو تشويه الحقائق وقلب الموازين وتلبيس الحق بالباطل ، و هو الغش بجميع صوره وأشكاله، والفساد -عباد الله - في حقيقته وجوهره هو ظلم للنفس وللمجتمع،

وماإنتشر الفساد في مجتمع إلا بسبب ضعفِ الدين في النفوس ، والغفلةِ عن الحساب بين يدي الواحد الديان جلّ وعلا ، والتعلقِ بالدنيا ، والإنغماسِ في الترف ، والتراخي عن الأخذ على أيدي المفسدين في المجتمع ، ومجاراة المترَفين والمفسدين كما قال تعالى ".. وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (116 هود)

معاشر المؤمنين

إنّ مكافحةَ الفساد والنهيَ عنه من خصال المؤمنين ومن سمات المتقين ، ومن أفعال أولي الألباب المبصرين ، الذين يعلمون أن شيوعَ الفساد وكثرةَ المفسدين هو أخطرُ تهديدٍ للأمن الإجتماعي ، فالفسادُ أخطرُ ما يهدّدُ تقدمَ الأمم، وأبشعُ ما يفككُ المبادئَ والقيم،

وأشنعُ ما يدّمرُ الأخلاق، وأبشع ما يذهبُ بركة الأرزاق، فما من مجتمعٍ عمّ فيه الفساد الا نحُرت فيه الفضائلُ ، وفشت فيه الرذائلُ، واختلت فيه موازينُ العدلِ والإحسان، وسادت قوانينُ الظلم والطغيان.

نسأل الله تعالى أن يطّهر بلادنا من الفساد والمفسدين ، ويعمّرها بالصلاح والمصلحين، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

محاربةُ الفساد بكل أنواعه تبدأ بغرس القيم الأخلاقية في نفوس النشء والشباب في مؤسسات التعليم ، وبين أفراد الأسرة والمجتمع بأسره ، وغرسِ مفاهيم حبِّ الأمانة وبغض الخيانة ومحبة الصلاح وكراهية الفساد ، والرغبة في الكسب الطيب الحلال والبعد عن الحرام ، والأخذ بالنزاهة والقناعة ، وذلك عبر أجهزة الاعلام وسائر منابر التوجيه ،

ثم تعزيز ُذلك كله بالقوانين الحازمة الحاسمة التي توصد أبواب الفساد أمام المفسدين ، وتردع من سولّت له نفسه بالإفساد ، ويكمّلُ تلكَ الجهودِ تعاملُ الأجهزة المعنية بحزمٍ وعدالةٍ مع جميع المفسدين ، كما فعل صلى الله عليه وسلم مقررا مبدأ العدالة عند التقاضي والمحاسبة ، حين شُفع للمرأة المخزومية التي سرقت فقال صلى الله عليه وسلم : إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله : لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها } .

وصدق الله تعالى إذ يقول :

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (116 هود)